المسلم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. والشهادة قد تكون خالصة من قلب الناطق بها وقد يكون قلبه منكراً لها. وفى الحالتين فإنه فى نظر المسلمين مسلم لا يحق أن يقولوا له لست مسلماً.

* حدث فى أثناء مسيرة سرية أسامة بن زيد إلى جهينة أن قابل أسامة مرداس بن نهيك وكان كافراً فنطق بالشهادة ومع ذلك قتله أسامة فغضب رسول الله ﷺ وأنكر على أسامة قتل مرداس. قال أسامة: لقد قالهاليفلت منى. فقال رسول الله ﷺ : «هلا شققت عن قلبه». وجعل يكرر عليه: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة».

* وقال رجل لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدىّ بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال: أسلمت لله أأقتله بعد أن قالها. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال».

* وفى أثناء مسيرة سرية إلى أضم قابلهم عامر بن الأضبط الأشجعى فألقى إليهم السلام وقتله محلم بن جثامة ظناً منه أنه إنما ألقاه ليسلم منهم. فأنزل الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

* ومن يدخل الإيمان قلبه فهو مؤمن ومن لم يدخل الإيمان قلبه فهو مجرد مسلم منافق ناطق بالشهادة كأعراب بنى أسد.

قال الله تعالى:

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

* وأتباع الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ والمؤمنون بالله وبأنبيائه ورسله هم مسلمون مؤمنون. أما المؤمنون ببعض الأنبياء والرسل دون البعض فهم خارجون عن دائرة الإسلام.

يقول الله تعالى:

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٤، ٨٥]

* فالمسلمون هم الناطقون بشهادة التوحيد والمعترفون بجميع الأنبياء والرسل وهم ثمان فئات:

ناطق بالشهادة بدون استدلال من العلم فذلك هو المقلد.

وناطق بالشهادة باستدلال من العلم فذلك هو العالم.

وناطق بالشهادة باستدلال من العلم ويرى الأفعال كلها صادرة من الله فذلك هو المقرب.

وناطق بالشهادة باستدلال من العلم ولا يرى فى الوجود إلا الله ولا يرى الأشياء إلا بالله فذلك هو الصديق.

وناطق بالشهادة ولا يعمل بها فذلك هو العاصى.

وناطق بالشهادة وهو مرتاب فى صحتها فذلك هو الشاك.

وناطق بالشهادة وهو محرف لبعض أركانها فذلك هو الزنديق.

وناطق بالشهادة وقلبه منكر لها فذلك هو المنافق.

* أما الكافر فهو البالغ العاقل المشرك بالله أو الذى بلغته الدعوة ولم يؤمن بالله ورسله ولم ينطق شهادة التوحيد أو نطقها ثم ارتد.

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ١١٦].

﴿ ...إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

* سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ما الإسلام. قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان».

وسأله ما الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

* وسأل رجل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «خمس صلوات فى اليوم والليلة» فقال هل علىّ غيرها. قال: «لا إلا أن تطوع. وصيام رمضان». قال هل علىّ غيره. قال: «لا إلا أن تطوع. والزكاة». فقال هل علىّ غيرها. قال: «لا إلا أن تطوع». فقال والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال رسول الله ﷺ : «قد أفلح إن صدق».

* وأركان الإسلام هى: الشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان.

قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان».

هذه هى الأركان التى بنى عليها الإسلام. فما هو البناء الذى يقوم على هذه الأركان؟

إنه العمل الصالح والإخلاص فى العبادة بأن نجعل حركتنا كلها صلاة أى موصولة بالله ونجعل حركتها كلها زكاة أى تطهيراً بفعل الخيرات ونجعل حركتنا كلها حجاً أى قربة إلى الله وفراراً إلى الله وخضوعاً لله وخشوعاً لله ونجعل حركتنا كلها صياماً أى جنة من المعاصى والمنكرات.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿... وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

* سأل معاذ بن جبل رضى الله عنه رسول الله ﷺ يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويبعدنى عن النار. قال: «سألت عن عظيم وإنه ليسير على مَنْ يسره الله عليه: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير». قال بلى يارسول الله. فقال: «الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه». قال بلى يارسول الله. قال: «كف عليك هذا». وأشار إلى لسانه. قال يانبى الله وأنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به. فقال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

* قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

من يسلم وجهه إلى الله أى من يخلص فى العبادة وهو محسن أى وهو يعمل صالحا.

فالعمل الصالح والإخلاص فى العبادة هما التطبيق العملى للإيمان. فالإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

قال رسول الله ﷺ: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل».

وأفضل الإيمان أن تكون دائماً فى معية الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ:

«إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت».

أى أن تعلم أنه تعالى شاهد عليك ورقيب وأنه عليم وسميع وبصير. فعليك بالفرار إلى الله والتزود بزاد الطريق.

والزاد ثمانية: طاعة الله ورسوله، والتدبر فى خلق الله وآياته، والإخلاص فى العبادة، والتوبة، والتصدى لهوى النفس ونزغات الشيطان، والتوكل على الله، والتفقه فى الدين، والعمل الصالح.

طاعة الله ورسوله

طاعة الله ورسوله هى تنفيذ ما أمر به الله ورسوله واجتناب ما نهى عنه الله ورسوله والالتزام بأحكام الله. وأحكام الله بيِّنة والكتاب بيِّن والسنّة بينة والحلال بيِّن والحرام بيِّن.

قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب».

وقال ﷺ: «ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرّم فهوم حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً».

وقال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

قال رسول الله ﷺ: «ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا».

وقال: «من أطاعنى فقد أطاع الله ومَنْ عصانى فقد عصى الله».

وقال: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل».

وقال ﷺ: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك».

وقال: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق».

وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «عبدى أطعنى تكن عبداً ربانياً تقول للشىء كن فيكون».

قال يحى بن معاذ الرازى: إلهى لا يطيب الليل إلا بمناجاتك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

التدبر فى خلق الله وآياته

* لو تدبر الناس فى خلق الله وآياته بعقولهم وقلوبهم ماعصوا الله أبدا.

قال الله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

قال رسول الله ﷺ:

«تفكّروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله».

* ولو تدبر الناس فى كتاب الله ما انحرفوا عن الصراط المستقيم أبداً.

قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة». قالوا وما حظها. قال: «النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه».

قال الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

* ولو تدبر الناس فيما فى أنفسهم لكانوا من الموقنين.

يقول الله تعالى:

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٢]

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

* ولو تدبر الناس فى نعم الله عليهم لوجدوا يد الله ملأى لا تغيضها نفقة.

قال الله تعالى:

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية: ٣ - ٥].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ - ٨].

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٤].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢].

قال رسول الله ﷺ:

«يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار».

* ولو تدبر الناس فى جنود الرحمن لخشعت قلوبهم من خشية الله. وجنود الرحمن ينفذون أمره القدرى طواعية. جعلهم الله أسباباً تجرى فى الكون وفق نواميس إلهية والله قيوم عليها إن شاء عطلها وإن شاء عدلها بقدرته الطليقة.

سلط الله الصاعقة على ثمود والريح الصرصر العاتية على عاد.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الحاقة: ٥، ٦].

وسلط الله الصيحة وحجارة من سجيل على المؤتفكة قوم لوط.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٥].

وسلط الله الرجفة على أصحاب الأيكة قوم شعيب.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١].

وسلط الله الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم على قوم فرعون.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وسلط الله الصاعقة على قوم موسى.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥].

وخسف الله الأرض بقارون.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

وأهلك الله أبرهة وجيشه بحجارة من سجيل.

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ٣ - ٥].

وسلط الله الريح يوم الأحزاب على المشركين.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

يقول الله تعالى:

﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢].

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [سبأ: ٩].

* والتفكر فى خلق الله وآياته ونعمه عبادة. فالتفكر مفتاح العلم والعلم مفتاح القلب والقلب مفتاح الجوارح والجوارح أدوات الحركة فى الحياة. فإن خشع القلب خشعت الجوارح. فالتفكر والتدبر فى خلق الله وآياته ونعمه يزيل الرين عن القلوب ويجلى البصائر وينبه الألباب ويخضع الجوارح ويملأ النفوس بالخشوع فيقوى إيمان المؤمن بالله وبقدرة الله.

الإخلاص فى العبادة

الإخلاص فى العبادة هو أن تجعل حركاتك فى الحياة خالصة لوجه الله لا يشوبها شرك ظاهر ولا شرك خفى فتعبد الله كأنك تراه وتوقن أنه يراك فتخافه وتخشاه وتعمل بما يرضيه وتستعين به وتتوكل عليه وتعلم أن المال مال الله وأنك مستخلف فيه وأن فيه حقوقاً للفقراء وأن الرزاق هو الله وأن المعين هو الله وأن الشافى هو الله وأن الأفعال كلها بالله وأنك محاسب على أعمالك وأن كل كبير وصغير مستطر.

ومن يجعل حركته فى الحياة خالصة لوجه الله يجد فى صدره انشراحاً أما من لا يجعل حركته فى الحياة خالصة لوجه الله فإنه يجد فى صدره ضيقاً

وقلقاً وحرجاً ويقع فى ظلمات الهوى والنفاق والرياء والجشع والطغيان والفساد والضلال.

قال رسول الله: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل».

وقال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله. قال: «الرياء. يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء».

وقال ﷺ: «مَنْ فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضٍ».

وقال: «من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة».

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

والعبادة الخالصة لله هى خشوع لله وخوف من مقام الله واتقاء لغضب الله وطمع فى عفو الله وفى مغفرة الله وفى رحمة الله.

يقول الله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٥، ١٦].

وحب الله أعلى مراتب العبادة. وحب الله ومعرفة الله ألذ اللذات. وكل من لا يعرف الله فى الدنيا لا يرى الله فى الآخرة. والمعرفة هى

الإيمان. ونعيم الجنة يكون بقدر حب الله للعبد وحب الله للعبد يكون بقدر إيمان العبد بالله. وأسعد الناس فى الآخرة هم أكثرهم حباً لله. ولذة الإيمان فى الدنيا ضئيلة بالنسبة للذة رؤية الله فى الآخرة. ومن يحب الله يحب الناس فى الله. ومن يحب الله يحب لقاء الله إذا أحس أنه قد بلغ منتهى ما يسر له من معرفة الله ويكره عجلة الموت قبل الاستعداد للقاء الله.

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

وسأل أعرابى رسول الله ﷺ متى الساعة. قال: «ما أعددت لها». قال ما أعددت لها كثير صلاة وصيام إلا أنى أحب الله ورسوله. فقال: «المرء مع مَنْ أحب».

وقال ﷺ: فيما يرويه عن الله عز وجل: «لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به».

وقال: «مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

والمحب لله يخلع حب الدنيا ويرتدى حب الآخرة ويسلك طريق الزهد والورع والخوف والرجاء والصبر والتوبة والشكر والحمد والدعاء والاستغفار والذكر والتهجد والمناجاة والرضا بقضاء الله والتوكل على الله وسد مداخل الشيطان والتصدى لهوى النفس. فإذا ما سلك العبد هذا الطريق بصدق وإخلاص طهر قلبه وتمت معرفته وانتقل إلى فئة المقربين الذين عرفوا الله حق يقين وآثر متاع الآخرة على متاع الحياة الدنيا وتأسى على فوات كل لحظة خلت من ذكر الله وطاعة الله وخشع لهيبة الله وخشى سلوى الله وخاف انصراف قلبه عن الله واستوى عنده المنع والعطاء ورضى بما يصيبه من مصيبة أو بلاء رضاءه بما يصيبه من نعمة ورخاء.

قال عمر بن الخطاب: «لا أبالى أصبحت غنياً أو فقيراً فإنى لا أدرى أيهما خير لى».

والناس يتفاوتون فى حبهم لله فمنهم من يحب الله خوفاً من العذاب ومنهم من يحب الله درءاً لبلاء ومنهم من يحب الله حباً فى نعم الله ومنهم من يحب الله حباً فى الجنة ومنهم من يحب الله حباً خالصاً لذات الله.

ومن يحب الله حباً خالصاً لذات الله لا ينظر فى شىء إلا ويرى فيه الفاعل وهو الله ويرى الأمور كلها من الله فيعبد الله عبادة يفرده بها فلا يوجه وجهه إلا لله.

ومن يحب الله حبا خالصاً لذات الله يكشف الله الحجب عن بصيرته وقلبه ويحظى بالكشف والشفافية فيكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به.

قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

وقال: «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه».

وقال: «إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه».

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشىء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا».

وقال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه».

وقال: «. . . يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء. . .».

وقال رجل لرسول الله ﷺ: يارسول الله إنى أحبك. قال: «استعد للفقر». فقال إنى أحب الله. فقال: «استعد للبلاء».

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه: «ما أنتم؟». قالوا مؤمنون. فقال: «ما علامة إيمانكم؟». قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء. فقال: «مؤمنون ورب الكعبة».

وقال ﷺ: «من أحب أن يعلم ماله عند الله عـز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه».

ومن يحب الله يحب الناس ويؤاخيهم فى الله.

ومراتب الأخوة ثلاث:

حب المرء لأخيه للتوسل به إلى أمر غير مباح وهو حب مذموم.

وحب المرء لأخيه للتوسل به إلى أمـر مباح أو لمجرد الأنس به وهو حب مباح.

وحب المرء لأخيه لله وفى الله لا للتـوسل به إلى أمر وهو أعلى مراتب الحب.

قال رسول ﷺ: «ما اصطحب إثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه».

وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن اللـه تعالى يقول يوم القيامة أين المتاحبون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى».

وقال رسـول الله ﷺ لأبى هريرة: «أبا هر أحـسن مجـاورة من جاورك تكن مسلماً وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً».

وقال: «إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك».

يقول الله تعالى:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

والتقوى والورع من ثمار العبادة الخالصة لله. فالمخلص الورع فى عبادة الله تجده يتـقى الله ويتقرب إليه ويتـجنب ما يغضبـه ويتقى الشبهـات ويتورع عنها مخافة الحرام ويخلص نفسه من كل شىء سوى الله.

* والورع درجات:

ورع العدول وهو ورع الشهود والقضاة.

وورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات.

وورع المتقين وهو ترك الحلال مخافة الحرام.

وورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله.

قال ذو النون المصرى (هو أبو الفياض ثوبان بن إبراهيم الأخميمى): ثلاثة من أعلام يقين اليقين: النظر إلى الله تعالى فى كل شىء والرجوع إليه فى كل أمر والاستعانة به فى كل حال.

قيل لرسول الله ﷺ أين الله؟ قال: «فى قلوب المؤمنين».

وقال ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع».

ومراتب النفوس أربع: نفس سوالة وازرة أمارة بالسوء مصرة على ارتكاب المعاصى ومثقلة بالأوزار ونفس لوامة تتوب إذا أذنبت ونفس ملهمة زكية مطمئنة راضية تميز بين الخير والشر وتتبع الخير وترضى بما قسمه الله لها ونفس مرضية.

والنفس المرضية هى التى تخلصت من كل شىء سوى الله. تخلصت من رين الطباع ومتاع الحياة الدنيا والهوى والشهوات وسجن الجسد وبلغت مرتبة الشفافية والكشف والفراسة والروحانية ورضى الله عنها وأرضاها.

* وعلامات الزهد ثلاث:

ألا يفرح المرء بموجود ولا يحزن على مفقود.

وأن يستوى عند المرء ذامه ومادحه.

وأن يكون أنس المرء بالله وأن تغلب على قلبه حلاوة الطاعة.

* ودرجات الزهد ثلاث:

زهد السلامة وهو الزهد فى الشبهات.

وزهد النفل وهو الزهد فى الحلال.

وزهد الفرض وهو الزهد فى الحرام.

* وثلاث:

زهد الخائف من عذاب الله.

وزهد الراجى ثواب الله.

وزهد المحب لقاء الله.

* وثلاث:

زهد المتزهد الذى يشتهى الدنيا ويجاهدها.

وزهد الزاهد الذى يعتبر الدنيا شهوة ولا يشتهيها.

وزهد الزاهد الذى يعتبر الدنيا لا شىء.

* ومراتب الجاهلين أربع:

رجل لا يميز بين الحق والباطل فهو جاهل.

ورجل لا يميز بين الحق والباطل واستولت عليه شهوة الباطل فهو جاهل وضال.

ورجل لا يميز بين الحق والباطل واستولت عليه شهوة الباطل واعتقد أنها حق فهو جاهل وضال وفاسق.

ورجل لا يميز بين الحق والباطل واستولت عليه شهوة الباطل واعتقد أنها حق وتباهى بها فهو جاهل وضال وفاسق وشرير.

يقول الله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٧].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث منجيات وثلاث مهلكات وثلاث درجات وثلاث كفارات: أما المنجيات فخشية الله تعالى فى السر والعلانية، والقصد فى الفقر والغنى، والعدل فى الرضا والغضب. أما المهلكات فشح شديد، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأما الدرجات فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام. وأما الكفارات فإسباغ الوضوء فى السبرات (أى فى الليالى الباردة)، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

قال يحيى بن معاذ الرازى: إلهى لا يطيب الليل إلا بمناجاتك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

والإخلاص فى العبودية لله سر من أسرار الله استودعه الله قلب من يحبه. وإخلاص الصديقين لا يشوبه رياء فهو لوجه الله ولا لشىء غير الله فالصديق لا يدبر أمراً إلا بالله ولا يختار إلا ما يرضى الله ولا تعمل جوارحه إلا فى سبيل الله.

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى».

التوبة

التوبة تبدأ بالإحساس بالذنب ثم بلوم النفس والندم على ارتكاب الذنب. وعلى التائب أن يقلع عن الذنب ويعزم على عدم العودة إليه ويصبر على مخالفة الهوى ونزغات الشيطان ثم يعتصم بالله ويتوكل عليه ويستغفره

ويذكره كثيراً طمعاً فى قبول التوبة. وعليه أن يذكر الموت ويعمل للآخرة. ولا تقبل توبة إلا بعد رد المظالم واستحلال الخصوم وعمل الصالحات. ولا تقبل توبة من حضره الموت.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة: ٣٩، ٤٠].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

قال رسول الله ﷺ:

«التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».

والذنوب كبائر وصغائر ولمم. والكبائر هى التى توعد الله مرتكبيها بالعذاب أو حد لها حدوداً. ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

وذنوب العباد بينهم وبين الله يغفرها الله عز وجل إن شاء برحمته أما الشرك بالله فلا يغتفر ومظالم العباد لا تترك.

قال رسول الله ﷺ:

«الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس».

والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله كبيرة . ومن الكبائر ترك الصلاة ورمى المحصنات وشهادة الزور والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسرقة والسعى فى الأرض فساداً والميسر وشرب الخمر والزنى واللواط والسحر.

قال رسول الله ﷺ: «كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون».

وقال: «الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك. فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى. وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى. وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد».

وقال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى قال الله تعالى عنه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون».

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

وقال: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

وقال: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره (أى عثر عليه) وقد أضله فى أرض فلاة».

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦].

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١].

ومن يعمل سوءاً ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن أسرف على نفسه لا يقنط من رحمة الله فإن الله رحيم ودود ورحمة الله واسعة.

يقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال رسول الله ﷺ: «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمدلله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لى أو دعا استجيب...».

وقال: «سيد الاستغفار أن تقول أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء

لك بنعمتك علىّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرنى ورجانى».

وقال فيما يرويه عن الله: «لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم».

وقال فيما يرويه عن الله: «قال الله عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة».

وقال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها».

قالت عائشة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب. قال: «نعم من ذكر ذنوبه فبكى».

وقال رسول الله ﷺ: «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى».

وقال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله... - وذكر منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه-».

قال الله تعالى:

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام منها

يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وقال فيما يرويه عن الله: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن النار».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن عبداً أذنب ذنباً فقال رب أذنبت فاغفر لى فقال ربه علم عبدى أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بها غفرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً فقال رب أذنبت آخر فاغفر لى فقال علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً قال أذنبت آخر فاغفر لى فقال علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثاً فليعمل ما يشاء».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله: «يقول الله تعالى إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً».

وقال ﷺ: «إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعة مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده سيئة واحدة».

قال الله تعالى:

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «قال الله عز وجل

من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى مالم يشرك بى شيئا».

وقال فيما يرويه عن الله: «يقول الله تعالى مَنْ عادى لى ولياً فقد آذنته بحرب وما تقرّب إلىّ عبد بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه. ومازال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحببته فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به. ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به. ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به. فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة من حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر منها ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر ومنها ما يكون إلى الظل أبيض فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه. ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم. فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقول الله تعالى إن لكم عندى ما هو أفضل من هذا. فيقولون ياربنا أى شىء أفضل من هذا. فيقول رضائى عنكم فلا أسخط عليكم أبداً».

ومن يذكر الله وقلبه متفرغ لله ينعم بصحبة الله ويمتلىء قلبه أمناً وصفاء. وصفاء القلب يفتح باب المعرفة. ومن يشغله ذكر الله عن مساءلته يعطه الله أفضل ما أعطى السائلين.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «أنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه».

وقال فيما يرويه عن الله: «من شغله ذكرى عن مسألته أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

وقال ﷺ: «ما أحد أحب إليه المدح من الله».

وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرّب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة».

وقال ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإن وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى

حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادى؟ يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول هل رأونى. يقولون لا والله يارب ما رأوك. فيقول وكيف لو رأونى؟ يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً. فيقول ما يسألوننى؟ يقولون يسألونك الجنة. يقول وهل رأوها. يقولون لا والله يارب ما رأوها؟ فيقول كيف لو رأوها. يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. يقول فمم يتعوذون؟ يقولون من النار. يقول وهل رأوها. يقولون لا والله يا رب ما رأوها. يقول كيف لو رأوها؟ يقولون لو رأوها؟ كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم. يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول هم الجلساء ولا يشقى بهم جليسهم».

وقال رسول الله ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال: «سبق المفردون». قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات».

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال رسول الله ﷺ:

«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله».

«من لا يسأل الله يغضب عليه».

وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى

السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول مَنْ يدعونى فأستجيب له مَنْ يسألنى فأعطيه؟ ومن يستغفرنى فأغفر له؟».

وكان رسول الله ﷺ يسبح فيقول:

«سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده».

«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى».

«حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم».

قال سعد بن أبى وقاص لرسول الله ﷺ ادع الله أن أكون مستجاب الدعوة. فقال رسول الله ﷺ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

وقيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعونى استجب لكم. قال لأن قلوبكم ميتة. قالوا وما الذى أماتها؟ قال ثمان خصال: عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال الله تعالى: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصى، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم؟».

جهاد النفس والشيطان

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه».

فالنفس أمارة بالسوء تهوى متاع الحياة الدنيا وقد أفلح من خاف مقام ربه فزكاها ونهاها عن الهوى والشهوات. والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة

الله. وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر. وحب الدنيا رأس كل خطيئة فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. فما متاع الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

يقول الله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

قال رسول الله ﷺ:

«المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل».

وقال: «مرحباً بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». قالوا وما الجهاد الأكبر يارسول الله. قال: «جهاد النفس».

وقال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

والناس فى حب شهوات الدنيا درجات:

* رجل استغرق ذكر الله قلبه وشاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين فلا يلتفت إلى متاع الحياة الدنيا إلا فى ضرورات المعيشة فهو من أهل الجنة.

* ورجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله عز وجل ذكر فى قلبه فهو يذكره باللسان لا بالقلب فهو من أهل النار.

* ورجل اشتغل بالدنيا والآخرة وتغلب الآخرة على قلبه فأمره إلى الله إن شاء حاسبه وإن شاء لم يحاسبه.

* ورجل اشتغل بالدنيا والآخرة وتغلب الدنيا على قلبه فهو يرد النار وليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وما الحياة الدنيا إلا متاع. ومتاعها قليل منقطع والله عنده حسن المآب وما عند الله خير وأبقى.

يقول الله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص: ٦٠، ٦١].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال رسول الله ﷺ:

«ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء».

«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماناً يجد حلاوته فى قلبه».

«معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء».

قال يحيى بن معاذ الرازى: مَنْ كثر شبعه كثر لحمه ومن كثر لحمه كثرت

شهوته ومن كثرت شهوته كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه قسى قلبه ومن قسى قلبه غرق فى آفات الدنيا وزينتها.

قال رسول الله ﷺ:

«لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

«جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر فى ذلك».

«لكل شىء زكاة وزكاة البدن الجوع».

«أديموا قرع باب الجنة بالجوع».

والشيطان عدو للبشر ينزغ بين الناس ويفتنهم ويأمرهم بالفحشاء والمنكر ويجرى منهم مجرى الدم فليحذروا خواطره وهمزاته ونزغاته وليصدوه بذكر الله فإنه إذا ذكر الله خنس الشيطان وليستعيذوا بالله منه ويقرءوا المعوذتين ويقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فإن ذلك يجنبهم مس الشيطان.

يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وحزب الشيطان هم أقرانه من البشر كالإمام الجائر والعالم الذى يقره على جوره والغنى الذى لا يبالى من أين يكتسب ماله وفيما ينفقه والبخيل الذى يجمع المال ولا يؤدى حقه والتاجر الخائن والمحتكر والمتكبر والزانى وآكل الربا وشارب الخمر ولاعب الميسر والعاق لوالديه. هؤلاء وغيرهم زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل.

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٦ - ٣٨].

﴿... وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٩، ١٢٠].

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٦٢].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

قال رسول الله ﷺ:

«الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس».

«إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

«مَنْ قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يوقيه حتى يمسى...».

والغضب من مداخل الشيطان فسدوا عليه مداخله واملكوا أنفسكم عند الغضب.

قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب».

وقال ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار».

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً غاضباً فقال: «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها عندما غضبت: «يا عويش قولى اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن».

التوكل على الله

التوكل على الله ليس معناه الانقطاع عن السعى إلى المقاصد والانقطاع عن الأخذ بالأسباب التى هيأها الله والتى من شأنها إظهار نتائج السعى بمشيئة الله. فالمتوكل على الله يأخذ بالأسباب ويسعى إلى المقاصد متوكلاً على الله أى مدركاً أن الأمر كله بيد الله وأن الأسباب من الله وأن النتائج من

الله وأنه لا فاعل إلا الله ولا وراء قدرة الله قدرة ولا وراء علم الله علم ولا وراء عناية الله عناية ولا وراء رحمة الله رحمة وأن النتائج قدر الله تقع بمشيئته إن شاء حققها وإن شاء لم يحققها. لا قيود عليه سبحانه وتعالى فقدرته عز وجل طليقة فهو لا يتقيد بنواميس الكون فهو خالق هذه النواميس وهو القيوم المهيمن عليها إن شاء نفذها وإن شاء غيرها وإن شاء عطلها.

والمتوكل على الله لا يتوكل على غير الله ليقينه أن الأمر كله بيد الله وحده وأنه لا فاعل إلا الله وحده وأن مسبب الأسباب هو الله وحده وأن محقق النتائج هو الله وحده وأن التوكل على غير الله شرك.

هذا هو توكل المؤمن فهو إيمان وعبادة وطاعة. أما التواكل فهو انقطاع عن الأسباب التى خلقها الله لتعين الإنسان على أمور الخلافة فى الأرض وانقطاع عن السعى إلى المقاصد باستخدام هذه الأسباب وذلك أمر يرفضه الإسلام.

يقول الله تعالى:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٣].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوت... ﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿ ... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿ ... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩].

﴿... قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

﴿... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

﴿... رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرِ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿... حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا».

«مَنْ سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه».

«ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل».

«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا يارسول الله أفلا نتكل. فقال: «اعملوا فكل ميسر». ثم قرأ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠].

وترك أعرابى ناقته طليقة واتجه إلى المسجد ليصلى قائلاً توكلت على الله. فقال رسول الله ﷺ: «اعقلها وتوكل».